منهج الخضـري (1287هـ) فـي حاشيته على شرح ابن عقيل(769هـ)

أ.جمال سالم عبد الرَّحمن سوّيدـ قسمُ اللُّغـةِ العـربيَّةِـ كليَّةُ التَّربـية ناصر جامعةُ الزَّاوية.

المقدمـــــــــة :

الحمــدُ لله ربِ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيدنا وحبيبنا محمدٍ النَّبي الأمِّي الأمين، وعلى آلهِ وصحبهِ الطَّيبين .

أما بعد :

لقد صنَّف ابن مالك (672 هـ) ألفيته في النَّحو والصَّرف في نحو ألف بيت، وقد اهتم بها العلماء اهتماماً بالغاً، فشرحوها، وأعربوا أبياتها، وذلك نظراً لأهميتها العظيمة في الدَّرس النَّحوي وكثرت شروحها، وكان أكثرها لصوقاً بها (شرح ابن عقيل) (769هـ)؛ الشّرح المتداول في جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا ومكتباتنا وحتى بيوتنا، حيث فاقت شهرته غيره، ولقي قبولاً لم يلقه شرح قبله ولا بعده، ممّا يدلّ على ميزةٍ له لا تضاهيها ميزة، ومنهجٍ لا يدانيه آخر، وألهم هذا الشّرح كثرةً كاثرة من النّحاة فتناولوه وتوسّعوا في ذلك واهتمّوا بشواهده ، وأقاموا عليه الحواشي والتَّعليقات . وكان من أبرز الحواشي ـ كماً ونوعاً ـ حاشية الخضري للعلَّامة محمد بن مصطفى بن حسن الدَّمياطي المعروف بالخضري (1287 هـ) (1870م) في حاشية سميت باسمه، فقد قام الخضري بتناول (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) في حاشية لم يألُ فيها جهداً؛ حيث زيّن ووضّح ما استطاع إلى ذلك سبيل.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة منهج الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل، وسبب وضعه لهذه الحاشية، وطريقة شرح المفردات اللُّغوية، واهتمامه بالقضايا البلاغية والصَّوتية، وشواهده، واستدراكاته على ابن عقيل، واعتراضاته عليه.

خطة البحثِ:

تتألف هذه الدِّراسة من: مقدمة، وتشمل: أهداف البحث، وخطة البحث.

أولاً: نبذة عن صاحب الحاشية. ثانياً: منهجه واهتمامه بالقضايا البلاغية والصَّوتية. ثالثاً: شواهده من القرآن الكريم، والحديث الشَّريف، والقراءات، والشِّعر، و كلام العرب. رابعاً: الشَّكل، استدراكاته على ابن عقيل، واعتراضاته عليه.

أولاً ـ نبذة عن صاحب الحاشية، اسمه ونسبه، مولده، شيوخه، تلاميذه، أهم مؤلفاته، وفاته.

1 ـ **اسمه ونسبه** : هو محمد بن مصطفى بن حسن الدَّمياطي المعروف بالخضري[1].

2 ـ **مولده** : ولِدَ محمد بن مصطفى بن حسن في مدينة دمياط، في سنة (1213هـ)، نشأ في مسقط رأسه، ثُمَّ انتقل إلى القاهرة والتحق بالجَّامع الأزهر، وكان يقرأ بالمدرسة الطَّبرسية ، وهناك أُصِيب بالصَّمم، فعاد إلى بلده دمياط ومكث فيها حتى وفاته، وفي دمياط اشتغل الخضري بعلوم اللُّغة والدِّين، وبسبب إعاقته كان الناس يخاطبونه بالإشارة، وهو يُعَدُّ من أبرز كُتَّاب عصره، وامتدَّت مؤلفاته لتشمل مجالات عديدة، فكتب في النَّحو والبلاغة والمواقيت والتَّفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله.[2].

تلاميذه: تتلمذ على يديه عدد من أفاضل علماء دمياط منهم:

الشَّيخ محمد أبو خضير المتوفى بالمدينة المنورة 1304هـ/1887م.

الشَّيخ محمد عثمان القباني المتوفى سنة 1290هـ/1873م.

الشَّيخ عبد الوهاب الحمامصي المولود 1236هـ/ 1821م الذي تولى وظيفة القضاء الشَّرعي بدمياط، المتوفى سنة 1304هـ/1887م.

الشَّيخ سيد برغوث المتوفى سنة 1292هـ/1875م.

4 ـ **أهم مؤلفاته**: شرح كتاب" اللُّمعة في حل الكواكب السَّيارة السَّبعة" في علم الميقات ، وشرح كتاب "زاد المسافر لمعرفة فضل الدَّائر" ، وحاشية على شرح ابن عقيل ، وحاشية المولي على السَّمرقندية ، وحاشية على شرح الشَّنشوري على الرجبية. وقد طبعت هذه الحواشي الثَّلاث مرارًا للانتفاع بها في الأزهر وفي خارج مصر. ، وحاشية على رسالة المحقق البهائي في مولد النَّبي صلى الله عليه وسلم. ورسالة في تفسير مبادئ القرآن ، ومنظومة في المتشابه من ألفاظ القرآن.

الغرض من تأليفه للحاشية فقال: "وطالما كنت أؤمل عليه حاشية تجمع فيه شواردِه، وتمكن من اقتناص أوابده رائده، وتتمم منه مع المتن المفاد، وتبين منهما

للطَّالب المراد، فيما نعني عجز القصور عن ارتقاء تلك القصور، وأنَّى لمثلي بمعانقة هاتيك الحور"[3].

أهمية العمل الذي يقوم به قال: " أذكر قول من قال، وأحسن في المقال :"إن أعراض المؤلفين أغراض لسهام ألسنة الحساد وحقائِب تصانيفهم معرضة لأيدي النَّظارة تنتهب، فوائدها، ثم ترميها بالكساد، لا سيما في زمان بدل نعيمه بؤساً، وعد جيده منحوساً، قد ملأ الحسد من أهله جميع الجسد، وقادهم الغرور بحبل من مسد"[4].

افتتح الخضري مقدمته بالثَّناء على ابن عقيل وشرحه للألفية ومكانتها بين كتب النَّحو؛ إذ قال: "إن شرح العلَّامة ابن عقيل لألفية الإمام ابن مالك رحمهما الله تعالى من أَجلَّ ما كُتب عليها قدراً، وأشهرها في الخافقين ذكراً لسهولته على الطَّالب، وقرب مأخذه للرَّاغب، ولإخلاص مؤلفه الذي عمَّ نفعه، وحسن عند الكل وقعه"[5].

كما تشير المقدمة – أيضاً – إلى الهواجس التي كانت تراوده أثناء قيامه بهذا الإنجاز العلمي، فيقول: "وما زال هذا الخاطر يقوى ويتردد، ، وينطلقً تارة ويتقيد، ، حتى أذن الله بإنجاز التَّوفيق، ومَنَّ مِن فضله بالتَّسديد إلى سواء الطَّريق فنلت بفضل الله ما كنت ترجيت، وأتى جمعه فوق ما كنت له تصديت"[6].

كما تُبين المقدمة تواضع الخضري في عمله هذا إذ يقول: "ومع ذلك لست أُبرئها من كل عيبٍ، ولا أصفها بضبط يرفع القلم عن إصلاح ما عسى أن يكون فيه لبس أو ريب، كيف وأنَّ الخطأ والنسيان كالصِّفة الذَّاتية للإنسان"[7].

5 ـ **وفاتـــه**: تُوفِّيَ الخضري في سنة (1287هـ) من التَّقويم الهجري بعدما بلغ من العمر أربعة وسبعين عاماً في مدينة دمياط ، وقِيل: أنَّ وفاته كانت في سنة (1288هـ)، ودُفِنَ بقرافة باب النَّصر[8].

ثانياً ـ منهجه واهتمامه بالقضايا البلاغيـــة والصَّوتيـــة.

وهو طريقة الخضري في تناوله لمتن الألفيّة، أو ما اختاره من المتن، وكذلك من الشّرح، سواء في تفسير ابن عقيل للأبيات أو الأمثلة، أو تعليقه عليها وشواهده، وذلك من حيث المضمون، والشَّكل بما تضمّناه من عناصر، وكيفية تعامل الخضري مع هذه العناصر، و ما استعان به من شواهد مختلفة .

1 ـ **المضمـــون :** قسَّم الخضري حاشيته في كتابيْن، تناول في الجزء الأوّل منهما المقدّمة وبدأ بمواضيع الألفية من بدايتها وحتى نهاية باب (حروف الجرّ)، في ثمانية وعشرين موضوعا أو بابا، وبدأ الجـزء الثَّاني بباب (الإضافة)، وحتّى نهاية

(الإدغـام) آخـر موضوع طرقه ابن مالك في ألفيّته، وذلك تحت اثنين وخمسين عنوانا بين باب وفصـل ، وقد التزم الخضري في حاشيته على الَّشرح بالتَّقسيم الذي وضعه المصنف والَّشارح، فسار على الأبواب والفصول التي قسمت الألفية عليها فحافظ بذلك على تبويب الشارح للمادة العلمية التي يقوم بشرحها فهو لم يلجأ إلى تقديم فصل على آخر، ولا عبارة على أخرى، ولم يغفل شرح شيء من متن الشّارح . وإذا نظرنا إلى منهج الخضري في حاشيته على ابن عقيل نجده يميل إلى الشَّرح والتَّفصيل محاولاً أن يجمــع كل شاردة وواردة تخـص القضية التي يعمل على شـرحها أو تفسـيرها، ً محلـلا ومعللا لكل ما يذكره.

2 ـ **طريقة الشّـــــرح :** أما طريقته في الشرح فنستطيع القول: إن الخضري اتبع طريقـة واحـدةً فـي تأليفـه للحاشية، فهو يورد نصوص الشارح ثم يذكر ما عنده مما يراه ضرورياً لإتمـام الفائـدة وتحقيـق المنفعة، وذلك بعد ذكره ملاحظاته على العنوان – إن وجدت – وأحياناً يعلق على أمثلـة الـشارح مؤيداً أو معارضاً إياها، وقد يأتي بأخرى يراها أنسب منها [9] ، وكان الخضري يستخدم ألفاظاً مختلفة في إبداء أرائه، ولكل لفظ منها دلالة خاصة، ومـن هذه الألفاظ ما يدل على موافقته لهذا الرَّأي أو عدم قبول رأي آخر، ومن خلال ذلك يتضح لنـا اتجاهه النَّحوي، منها ما يدل على رفضه لمذهب من المذاهب، ومنها ما يدل على أنَّها مذهبه الذي ذهب إليه، وهي:

ألفاظ تدل على رفضه لمذهب من المذاهب نحو: (الأوْلى)، و(لكن الأصّـح)، و (لا يجـو)، و(كان المناسب)، و(زعــم) و(يرده)، و(ليس كذلك)، و(الصَّواب) و (ضـعيف)، و(يـرد)، وغيرهـا، منها على سبيل المثال:

قوله في باب (الكلام وما يتألف منه)[10] رداً على ابن مالك، حين مثّـل لفعل الأمر، وعدم قبوله النّون، فيكون اسماً (ويقصد هنا اسم الفعل) مثل: صه وحيهل، فقال الخضري، الأوْلى التَّمثيل بـ (نزال، ودراك)؛ لأنَّ اسمية ما ذكر معلومة من التّنوين[11].

ألفاظ استخدمها وتوحي أنَّها مذهبه وما يراه: فمنها (الرَّاجح)، و(الرَّاجح عندي)، (الأظهر)، و(أصحها)، (وأرجح)، وغيرها كثير، من ذلك:

في باب (الكلام وما يتألف منه)، حول قول ابن مالك: (سـواهما الحـرفُ)، قـال الخضري: " سواهما خبر مقدم لا مبتدأ؛ لأنَّ الحرف هو المحدث عنه وهو بمعنى غير، ورفعها مقدر على الألف بناءً على الرَّاجح من خروجها عن الظرفية"[12].

كما أنَّه لا يلتفت كثيراً لشواهد الشَّارح عن القرآن والحديث النَّبوي، وإن فعل فإنَّه يكتفي بتفسير بعض عبارات ذلك الشَّاهد أو إعرابها، ولا يعتنيً كثيرا ببيان موقفه من الشَّاهد [13]، وتمتاز لغة الحاشية بكثرة الإحالات الموثقة إلى أصحاب الرَّأي أو التَّوجه، فهو إذا ما عالج مسألة نحوية برع في تتبع آراء العلماء فيها، واستقصاء الأقوال التي تعنيها، كي يتسنى له الحكم على صحتها أو بطلانها .

اهتمامه بلغات العرب : أظهرت الحاشية مدى اهتمام صاحبها باللُّغات التي وردت عن العرب، وهي موضع استشهاد لصحة أقوالها وعدم فساد ألسنتها.

ومن ذلك قوله: إنَّ في (حيهل) ثلاث لغات: "سكون اللَّام وفتحها بلا تنوين، ومنونة، وكلام النَّاظم يحتمل الأولين، وكذا الثَّالث على لغة ربيعة من الوقف على المنصوب المنون بالسُّكون" [14]، وكذلك ما قاله في الأسماء السِّتة: أنَّ هناك من يعربها بالألفً مطلقاً "وهي لغة بني الحارث وخثعم وزبيد وغيرهم، وعليها حديث (ما صنع أبا جهل)" [15].

الحدود النَّحويـــة : من أبرز سمات منهجه في الحاشية (الحدود النَّحوية) فقد اعتنى الخضري بالحدود النَّحوية عناية كبيرة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مناقشته لكثير من حدود المصنف أو الشَّارح نحو قوله في حد الشَّارح للمفعول المطلق: إذ قال الشارح: "هو المصدر المنتصب: توكيداً لعامله، أو بياناً لنوعه، أو عدده "[16].

وأخذ الخضري يشرح ويعلق ويناقش الشَّارح فيما قاله : إذ قال: "وقوله: (هو المصدر)؛ أي: الصَّريح فلا يقع المؤول مفعولاً مطلقاً، والمنتصب يخرج المرفوع ولو نائب فاعل فلا يسمى مفعولاً في الاصطلاح خلافاً لظاهر الأشموني، واعلم أنَّ بين المصدر والمفعول المطلق عموماً وجهين يجتمعان في ضربته ضرباً، وينفرد المصدر في ضربك ضرب أليم، والمفعول فيما ينوب عن المصدر فإن لم يعتبر هذا النَّائب، وجعل المفعول هو المصدر المقدرً نظراً للأصل، فالمصدر أعمً مطلقا. قوله: (توكيداً لعامله...الخ)، أي : لنفس عامله إن كان مصدراً مثله، وإلاّ فيؤكد مصدر عامله ليتحد المؤكد مع المؤكد كما هو شرط التَّأكيد اللَّفظي الذي هذا منه، فمعنى قولك: (ضربت ضرباً) أحدثت ضربا ضرًبا، كما أفاده الدَّماميني (ت527هـ) والرَّضي (ت406 هـ)، فإن قلت: كيف يكون لفظياً مع قول النَّحَّاس؟ أجمع النحاة أن توكيد المصدر يدفع المجاز كالمعنوي نحو قوله تعالى: ﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾ {النِّساء (163)}، أي: بذاته لا بترجمان، أجيب بأنَّ ذلك ليسً خاصا بالمعنوي، بل

يكون في اللفظيِّ أيضا، كما في المطول نحو: قطع اللِّص الأمير. وربما لا يكتفي بالتَّعليق أو الاستدراك على حد الشَّارح أو المصنف، بل يذهب إلى إيراد المعنى اللُّغوي للحد، نحو ما ذكره في باب البدل: "البدل لُغةً العوض، قال تعالى: ﴿**عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها**﴾ [القلم 32] ، واصطلاحاً ما ذكره المصنف" [17]، وإذا ما أهمل الشَّارح حد بعض الموضوعات ، نجده يشرع بحدِّها، وربما لا يكتفي بإيراد الحد، بل يذهب إلى مناقشة بعض عباراته، مثل ما فعل في باب النِّداء، إذ عرَّفه بقوله: "النِّداء لُغة: الدعاء بأي لفظ، واصطلاحاً: طلب الإقبال بـ (يا) أو بإحدى أخواتها، والمراد بالإقبال مطلق الإجابة، فدَّخل: يا الله، ولا تناقض في: يا زيد، لا تقبل؛ لأنَّ (يا) لطلب إقباله ليسمع النَّهي، فلم يتوجه له النَّهي إلَّا بعد إقباله، ولا ينادى حقيقة إلَّا المميز؛ لأنَّه الذي تتأتى إجابته، وأمَّا غيره كـ (يا جبال) و (يا أرض) فاستعارة مكنية حيث شبهه بالمميز في النَّفس"[18].

شـــــرح المفردات اللُّغويـــــة : كما اهتم الشَّارح اهتماماً كبيراً بالمفردات ومعانيها، سواء أكانت تلك المفردات الواردة في نص الشَّارح أم الواردة في شواهده، ومن ذلك قول ابن عقيل في علة بناء الاسم: "وقد نص سيبويه – رحمه الله – على أنَّ علة البناء كلها ترجع إلى شبه الحرف" [19].

وإذا نظرنا إلى ما قاله الخضري في هذه العبارة نجده قد انشغل في الحديث عن سيبويه ومعناه دون التَّعليق على رأيه، فقال:" (سيبويه) هو إمام النَّحو، واسمه عمرو؛ ومعنى (سيب) بالفارسية (التُّفاح) ومعنى (ويه) رائحته، وإضافة العجم مقلوبة، لُقب بذلك؛ لأنَّه كان يشم منه رائحة التُّفاح؛ أو لشبهه به في اللَّطافة، مات في أواخر المائة الثَّانية، وعمره ينيف على الثَّلاثين أو الأربعين"[20].

ومنه قول الشَّارح في تعريف التَّرخيم (لغة) بأنَّه: (ترقيق الصَّوت) ومنه قوله:

لَها بشَر مثْل الحرير ومنطق رخيم الحواشي: لا ، هراء، ولا نَزر

فعندما تناول الخضري هذا القول شرع بنسب البيت إلى صاحبه – ذو الرمة – وبين القصيدة التي ينتمي إليها ذاك البيت، ثم أخذ يستطرد في شرحه لمعنى الحواشي بقوله: "والحواشي: جمع حاشية؛ وهي ناحية الثَّوب وغيره، كما في القاموس، والمراد هنا نواحي الكلام؛ أي : أطرافه، وخصها بالذِّكر؛ لأنَّ تشوق السَّامع لأوَّل الكلام وآخره أكثر، أو على عادة العرب من التَّعبير بأطراف الشَّيء عن كله؛ لأنَّه يلزم عادة من الإحاطة بالأطراف الإحاطة بالكل، فهو كناية عن رقته كله"[21].

ومنه الشَّاهد الذي أورده ابن عقيل في باب (حروف الجر)[22] وهو قول الشَّاعر:

تُخَيرن من أَزمان يوم حليمـة إلى اليومِ قَد جربـن كل التَّجـارِب

فقال الخضري فيه: "ويوم حليمة من أيام حروب العرب المشهورة، وحليمة بنت الحـارث ابن أبي شمر ملك غسان ، وجّـــه أبوها جيشاً إلى المنذر بن ماء السَّماء، فطيبتهم بطيب مـن عنـدها ، فلما قدموا على المنذر، قالوا له : صاحبنا يدين لك ويعطيك حاجتك، فتباشر هو وأصحابه وغفلـوا بعض الغفلة، فحمل عليهم الجيش، وقتلوا المنذر، ويقال: أنَّه ارتفع في ذلك اليوم من العجاج: أي : – الغبار– ما غطى عين الشمس"[23].

اهتمامه بالقضايا البلاغيـــة : كما أهتم الخضري في حاشيته بالقضايا البلاغية فنجده يُعرّج في بعض الأحيان عند تحليله وتوضـيحه للمتن على بعض الجوانب البلاغية في العربية، ولعلَّ دافعه في ذلك توضـيح المقصود وإزالـة الغموض عن بعض التَّراكيب، من ذلك شرحه لقول النَّاظم:

تـقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد منجز[24].

حيث علَّق بقوله: "وقوله: (تقرب الأقصى) فيه مجاز عقلي من الإسناد للسبب العادي، إذ المقـرب حقيقة هو الله تعالى، والأقصى بمعنى القاصي أي البعيد" [25].

اهتمامه بالقضايا الصوتيـــــة : لم يهمل الخضري القضايا الصَّوتية حيث تحدث أثناء تأليفه للحاشية عن قضايا صوتية كثيرة تتعلق ببعض الظَّواهر اللُّغوية التي كان يناقشها ويحللها ً حرصاً منه على توضيحها وبيان قيمتها للقارئ، ومنها تعليله لاستخدام ابن مالك للفظة (أحمد) بقوله: "واختار هذه المادة المـشتملة علـى الحاء الحلقية والميم الشَّفوية والدَّال اللِّسانية في ثنائه على رب البرية كي لا يخلو محل عـن ذلـك بالكلية" [26].

نظمـــــه في النَّحو : كما احتوت الحاشية على عدد من الأبيات التي نظمها الخضري في النَّحو، وهذا يؤكـد قدرتـه على مجاراة من ألف نظماً في النَّحو، كما يظهر لنا

تمكنه وغزارة علمه وثقافته اللُّغوية الواسعة، ومن ذلك قوله: تأتي (من وما) لمعانٍ جمعناها بقولي[27]:

محامل من خمس فَشَرط تُفَهم وموصولة تَنْكيرِ نَقْص وتمما
وهذي لِما مع نفي كف تعجب تُغَيِر معنى مع تهيؤ اعلما
وزائدة تَأْتي كَذَا مصدرِية مع الظَّرف أَو لا فافهمن لِتَغْنَما

ثالثاً: شواهده، واستدراكاته على ابن عقيل، واعتراضاته عليه.

لقد رصّع الخضري حاشيته بشواهد كثيرة وكانت من القرآن الكريم، أشدّ لمعانا لكثرتها، وشدّة اهتمامه بهذا المصدر ثم بالقراءات، فالحديث الشَّريف، فشعر العرب وأمثالهم ولغاتهم، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

استشهاده بالقرآن الكريم : يُظهر حتى للمتصفح لحاشية الخضري كثرة استشهاده بالقرآن الكريم، فهو يفعل ذلك حتى في شرحه للبسملة، والمقدمة علاوة على موضوعات النّحو والصّرف، والخاتمة، دون تفريق، فلا تكاد تمر بموضوع إلَّا والآيات تزيّنه، وربما يعود ذلك إلى تمسكه بهذا المصدر فله الأولوية في استشهاداته من حيث البدء والكثرة، وهو أفضل ما يمكن أن يستشهد به لتدعيم قاعدة نحويّة أو صرفيّة، زيادة على أنَّه لايكاد يترك شاهدا إلا وأرجعه إلى موضعه، فهو يذكر اسم السّورة ورقم الآية، حتى وإن أورد كلمة واحدة، ومثاله ما جاء في (جمع التّكسير) حين قال: " وأمّا نحو ﴿ **صنوان**﴾ [الرَّعد: 4]، فزيادته لا تفيد، في غيره فكانت جمعيته ليست بها بل بالتّغيير "[28] ويقصد هنا بالجمعية: الجمع بشكل عام، ومفهوم قوله: أنّ (صنوان) مع وجود الواو والألف والنّون لا تدخل في جمع المذكّر السالم، بل هي جمع تكسير، وعليه؛ فهو لا يترك كلمة أو أكثر من القرآن الكريم إلَّا أرجعها إلى موضعها فيه.

وفي باب (إن وأخواتها) فتح همزة (إن) وكسرها؛ تابع الخضري قول ابن عقيل حين ذكر أحوالها الثلاثة (وجوب الفتح ووجوب الكسر، وجواز الأمرين) فقال ابن عقيل: " فيجب فتحها إذا قدّرت بمصدر، كما إذا وقعت في موضع مرفوع فِعْل.. أو في موضع مجرور حرف..."[29] ، وضرب أمثلة على ذلك، فقال الخضري: "قوله (مرفوع فعل) أي فاعلا كان كما مثّل أو نائبه نحو قوله – تعالى- : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ**

أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾" [30] **[الجن: 1]**، ثمَّ مثّل على قول ابن عقيل: (مجرور حرف) بقوله: "أي : ـ أو إضافة ـ نحو قوله – تعالى - : ﴿ **مثل ما أنكم تنطقون** ﴾[31] **[الذَّاريات : 23]**

استشهاده بالقـــراءات : كثيرا ما استشهد الخضري بها في حاشيته، ومن ذلك:

في باب (كان وأخوتها) ، حول جواز تقديم خبر (ليس) على اسمها، حيث ذكر ابن عقيل خلافا، وصوّب الجواز وضرب على ذلك مثالا من الشّعر[32]، فجاء الخضري وأيّده في ذلك وقال: منه قراءة حمزة وحفص :﴿**ليس البرَّ أن تُوَلّوا**﴾ [33] **[البقرة 176]**

استشهاده بالحديث الشريف : اهتم الخضري بالحديث الشَّريف كمصدر مهم من مصادر اللُّغة، وقد أفرده كثيرا في الاحتجاج، وجعله مع غيره أقلّ ، ومن ذلك. في باب (الكلام وما يتألف منه) ، وحديثه عن كلمة (أَمَة)[34] ، ونهي الرَّسول الكريم عن استخدامها بحقّ مُلك اليمين من النّساء، فجاء بالحديث: (**لا يَقُل أَحَدُكُم عَبدِي ولا أَمَتِي فَإنَّ العَبدَ والأمَةَ للهِ ولْيقلْ غُلامي وجاريَتي)**[35].

استشهاده بالشعر : جارى الخضري ابن عقيل في ألفاظه التي قدَّم بها شواهده الشِّعرية فهو يستعمل : (كقوله) كثيرا، و (منه قوله) و (قول الشَّاعر) و(في)، و(في قوله)، و(في قول الرَّاجز، و(أمّا قوله)، و(قوله)، و(في نحو)، و(نحو), (بقوله) و(منه قول الشَّاعر) وعندما يذكر شعراً لنفسه يقول: (فقلت)....الخ؛ من ذلك.

في باب (الكلام وما يتألف منه)؛ حول حذف صلة الموصول لوجود دليل عليها، فقال: ولايضرُّ حذفها لفظاً كحذف الصِّلة لدليل كقوله:

نحــنُ الأُلــى فــاجْمعْ جُمُــو عَــكَ ثُــمَّ وَجِّهْهُــمْ إلينــا

أي: الأُلى عُرفوا بالشجاعة[36].

استشهادُه بكلام العرب المنثور : لم يهتم الخضري بكلام العرب المنثور في شواهده كاهتمامه بالحديث الشريف، وقد ندر ذلك بشكل ملحوظ، ويكاد لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، ومن ذلك, المثل القائل: (تَسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه) [37].

رابعاً ــ الشَّكل، واستدراكاته على ابن عقيل، واعتراضاته عليه.

يكاد الخضري يلتزم شكلاً واحداً في حاشيته سواء من ناحية العرض أو تناوله لألفاظ الألفية والشَّرح، فمن ناحية طريقته في العرض نجده يقوم بما يأتي - : يتناول بيت الألفية بالتَّوضيح والإعراب يشير إلى أقوال الشَّارح فيعلق عليها أو يصحّح فيها، أو يذكر صحّتها ومناسبتها للموضوع يتناول أمثلة الشَّارح بالتَّعليق،

فإمّا أن يثبتها له أو يذكر غيرها إن لم توافقه أو يذكر ما يسندها . لا يلتفت كثيراً لشواهد الشَّارح من القرآن والحديث، وإن فعل فيفسر بعض العبارات، أما بشأن شواهد الشَّارح الشَّعرية فيقوم كثيراً بإعرابها[38]. يناقش عبارات الشَّارح وأحكامه، فإمّا أن يؤيده فيها وإمّا أن يذكر ضعفها أو عدم مناسبتها للمسألة، ويشير أحياناً إلى ما فيها من تكرار لا داعي له [39].

استدراكاته على ابن عقيل : استدرك صاحب الحاشية على الشَّارح كثيراً من القضايا والموضوعات التي عالجها في حاشيته، من ذلك:

ذكر ابن عقيل أنَّ (إنَّ وأخواتها) ستة أحرف وهي: إنَّ، أنَّ، ليتَ، لعلَّ، كأنّ، لكنَّ، علَّق الخضري على الشَّارحً قائلا: "زاد الموضح (عسى) في لغة حملاً على (لعلَّ) كونها بمعناها، وإنَّما يكون اسمها ضمير نصب متصلاً"[40].

اعتراضاتـــه على ابن عقيل : اعترض الخضري على الشَّارح في بعض مما صرح به، فالخضري سعى جاهداً إلى إخراج النَّص وفق ما يريد، أو كما يراه هو، ولعلَّ القصد الذي ابتغاه من ذلك كلِّه توضيح النَّص للقارئ وتجلية له من جهة، وإظهار شخصيته واستقلاليته من جهة أخرى، ومنه: ذهب الشَّارح إلى أنَّ معنى (دواليك) إدالة بعد إدالة. [41]

علّق الخضري على هذا المعنى بقوله: "الأنسب تداولاً بعد تداول أو مداولة بعد مداولة؛ لأنَّ الإدالة هي الغلبة ولا تناسب هنا بخلاف التَّداول فإنَّه التَّناوب؛ أي: تداولاً لطاعتك ومناوبة فيها"[42] ، وأرى أن المعنى الذي قدره الخضري أنسب مما جاء به الشَّارح، لموافقته لما جاء في المعاجم اللُّغوية [43].

الخاتمـــــــــــــة :

وقد خلصت الدِّراسة إلـــى النَّتائج الآتية:

1- غزارة المادة العلمية للحاشية وسعة اطلاع صاحبها على كثير من العلوم.

2 - أظهرت الحاشية قدرة صاحبها على النَّظم، فقد احتوت حاشيته على أبيات من نظمه.

3 - أهتم الخضري بالقضايا الدَّلالية والصَّوتية، فنجده يُعرّج على شرحها كل ما اقتضت الحاجة إلى ذلك.

4 - أعتمد الخضري على القرآن الكريم في جلَّ شواهده، ويليه الشِّعر في المرتبة الثانية ثم القراءات ومن بعدها الحديث الشريف.

5 ـ لم يهتم الخضري كثيراً في شواهده بكلام العرب المنثور، بينما نجده قد أهتم بلغاتهم في متن الحاشية.

6 ـ لم يقتصر عمل الخضري على شرح أبيات المصنف أو بيان المقصود من كلام الشَّارح، بل كان كثيراً ما يعمد إلى توضيح بعض الجوانب اللغوية في الشَّرح كالإعراب.

7 ـ لم يسلّم الخضري بكل ما ذكره الشَّارح فكثيراً ما كان يعارضه أو يستدرك عليه بعض المسائل التي ساقها.

الهوامـــــــــش:

القرآن الكريم برواية قالون.

1 ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المؤلف : إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى أصلا، البغدادي مَولدا ومَسكنا (ت 1399 هـ)، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، 1951م، ثم صَوَرتْه بالأوفست: (دار النَّشر الإسلامية ومكتبة الجَّعفري التَّبريزي بطهران)، (وعَنها) صَوّره كثيرٌ من النَّاشرين (كمكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة التَّاريخ العربي ودار إحياء التُّراث العربي ببيروت) ، 2/ 379. معجم المؤلفين، 12/ 27.

2 ـ الأعلام، خير الدَّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزَّركلي الدِّمشقي (1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002. 6/ 19. ومعجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد بن راغب كحالة الدِّمشقي (1408هـ)، مكتبة المثنى ـ بيروت ـ دار إحياء التُّراث العربي ـ بيروت ـ، 12/ 27.

3 ـ ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الألفية، محمد بن مصطفى بن حسن الدِّمياطي (1287هـ)، تصحيح وضبط يوسف الشَّيخ محمد البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت، 2006.، ص3.

4 ـ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

5 ـ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6 ـ ينظر: المصدر نفسه، ص4.

7 ـ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8 ـ الأعلام، 6/ 19. ـ معجم المؤلفين، 12/ 27.

9 ـ حاشية الخضري، 22/1، 30، 33، 39، 40.

10 ـ ينظر: حاشية الخضري، 18/1.

11 ـ المصدر نفسه، 38/1.

12 ـ ينظر: المصدر نفسه، 37/1.

13 ـ المصدر نفسه، 30/1، 31، 78، 88، 109، 110

14 ـ ينظر: حاشية الخضري، 38/1.

15 ـ ينظر: المصدر نفسه، 63/1.

16 ـ ينظر: المصدر نفسه 1/ 375.

17 ـ ينظر: حاشية الخضري، 635/2.

18 ـ ينظر: حاشية الخضري، 2/ 642.

19 ـ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 2009، 1/ 28.

20 ـ ينظر: حاشية الخضري، 1/ 43.

21 ـ ينظر: المصدر نفسه، 2/ 669.

22 ـ شرح ابن عقيل، 3/ 3.
23 ـ ينظر: حاشية الخضري، 1/ 466.
24 ـ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لقاضي القضاة بهاء الدَّين عبد الله ابن عقيل (769 هـ)، تأليف/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، 2009.، 1/ 14، ينظر: حاشية الخضري، 1/ 16.
25 ـ ينظر: حاشية الخضري، 1/ 16.
26 ـ المصدر نفسه، 1/ 11.
27 ـ ـ المصدر نفسه، 1/ 136.
28 ـ ينظر: حاشية الخضري، 2/ 817.
29 ـ ينظر: شرح ابن عقيل، 1/ 277. ينظر: حاشية الخضري، 1/ 256.
30 ـ ينظر: حاشية الخضري، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
31 ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
32 ـ شرح ابن عقيل، 1/ 218.
33 ـ حاشية الخضري، 1/ 218.
34 ـ المصدر نفسه، 30/1.
35 ـ ينظر: الإحكام شرح أصول الأحكام، عبد الرَّحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النَّجدي (1392 هـ)، ط2، 1406هـ، 2/ 552.
36 ـ حاشية الخضري، 30/1.
37 ـ حاشية الخضري، 1/ 34.
38 ـ المصدر نفسه، 1/ 78.
39 ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
40 ـ حاشية الخضري، 1/ 251.
41 ـ شرح ابن عقيل، 3/ 38.
42 ـ ينظر: حاشية الخضري، 2/ 503.
43 ـ مختار الصحاح مختار الصَّحاح، زين الدِّين أبو عبد الله مجمد بن أبي بكر الرَّازي (666 هـ)، تحقيق/ يوسف الشَّيخ محمد، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط5 ، 1420هـ 1999م.، مادة (د و ل)، 1/ 109. لسان العرب، مجمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدِّين ابن منظور (711 هـ)، دار صادر ـ بيروت ـ ط3 ، 1414هـ . مادة (د و ل)، 11/ 252.